

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 254)

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بَعْدَ بَيَانِ تَفَاضُلِ الرُّسُلِ، وَاخْتِلَافِ أَتْبَاعِهِمْ، اقْتِتَالًا بِسَبَبِ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّهُ بُرْهَانُ الْإِيمَانِ، وَحَذَرَهُمْ مِنَ الْفَوْتِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ"أَصْعَبُ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ بَدْلُ النَّفْسِ فِي الْقِتَالِ، وَبَدْلُ الْمَالِ فِي الْإِنْفَاقِ، فَلَمَّا قَدَّمَ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ؛ أَعْقَبَهُ بِالْأَمْرِ بِالْإِنْفَاقِ"⁽¹⁾، وَفِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ سِرٌّ بَدِيعٌ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِالرُّسُلِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدُلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ بِقَدَرِ إِيْمَانِهِ بِهِمْ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ عَمَلٌ لَا مُجَرَّدُ دَعْوَى.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَنْفِقُوا﴾: تَرْجِعُ مَادَّةُ (نَفَقَ) فِي اللَّغَةِ إِلَى أَصْلَيْنِ صَحِيحَيْنِ، "يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ"⁽²⁾، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ؛ فَإِنَّ ذَهَابَ الشَّيْءِ خَفَاؤُهُ، وَهُوَ مَاخُذٌ مِنْ نَفَقَتِ الدَّابَّةِ إِذَا مَاتَتْ⁽³⁾، وَ"الْمُرَادُ بِالْإِنْفَاقِ هُنَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"⁽⁴⁾.

(2) ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: أَصْلُ الْخُلَّةِ يَرْجِعُ إِلَى دِقَّةٍ أَوْ فُرْجَةٍ، فَالْخَلِيلُ الَّذِي يُخَالِكُ؛ كَأَنَّكَ قَدْ تَخَالَلْتُمَا؛ كَالْكَسَاءِ الَّذِي يُخَلُّ⁽⁵⁾؛ فَالْخُلَّةُ الصَّدَاقَةُ، وَالْخُلَّةُ الْحَاجَةُ⁽⁶⁾، وَالْعَلَاqَةُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْخَلِيلَ "الَّذِي لَيْسَ فِي مَحَبَّتِهِ نَقْصٌ وَلَا خَلَلٌ"⁽⁷⁾، يُلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْخُلَّةِ، وَسُمِّيَتِ الصَّدَاقَةُ بِالْخُلَّةِ لِأَنَّهَا تَتَخَلَّلُ الْأَعْضَاءَ، أَيُّ: تَدْخُلُ خِلَالَهَا، وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ الْمَصْدَرُ؛ لِيَدْخُلَ فِيهَا الْمَفْرَدُ وَالْجَمْعُ، وَكُلُّ مَنْ اتَّصَفَ بِأَنَّهُ خَلِيلٌ، وَيَصِحُّ إِرَادَةُ الصَّدِيقِ.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 6/530.

(2) ابن فارس: للقايس: (نفق).

(3) الخليل، العين: (نفق).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

(5) ابن فارس: للقايس: (خلل).

(6) أبو عبيد، غريب الحديث: 4/63.

(7) الأنباري، الزاهر: 1/493.

(3) ﴿وَلَا شَفَعَةُ﴾: الشَّيْنُ والفَاءُ والعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ الشَّيْئَيْنِ، مِنْ ذَلِكَ: الشَّفَعُ خِلَافُ الْوَتْرِ، تَقُولُ: كَانَ فَرْدًا فَشَفَعْتُهُ، وَشَفَعَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ إِذَا جَاءَ ثَانِيَهُ مُلْتَمِسًا مَطْلَبَهُ وَمُعِينًا لَهُ⁽¹⁾، وَالشَّفَاعَةُ: الانْضِمَامُ إِلَى آخَرٍ نَاصِرًا لَهُ وَسَائِلًا عَنْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي انْضِمَامِ مَنْ هُوَ أَعْلَى حُرْمَةً وَمَرْتَبَةً إِلَى مَنْ هُوَ أَدْنَى، وَمِنْهُ: الشَّفَاعَةُ فِي الْقِيَامَةِ⁽²⁾، كَمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

الْآيَةُ نِدَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْبَعِيدِ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَهْمِيَّةِ الْإِسْتِجَابَةِ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْفَاقِ، وَسَنَامِهِ إِخْرَاجَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، ثُمَّ التَّصَدَّقِ مَعًا وَهَبِ اللَّهُ، وَقَدْ بَنِيَ الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَقُوِّي بِالْإِمْتِنَانِ بِأَنْ هَذَا الْمَالُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِي الْأَغْنِيَاءِ مَا هُوَ إِلَّا رِزْقُ رِزْقِهِمُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَنِعْمَةٌ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ النَّسْيَانِ، لِيَوْمٍ لَا يُوْجَدُ فِيهِ خِلَافٌ، وَالْبَيْعُ مَحْمُولٌ؛ إِمَّا عَلَى الْمُبَادَلَةِ وَالْمُعَاوَضَةِ، وَإِمَّا عَلَى الْإِفْتِدَاءِ، وَالْحَلَّةُ وَالشَّفَاعَةُ إِمَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِمَا حَيْثُ لَا صَدَاقَةُ صَدِيقٍ تُتَقَدَّكُمُ، وَلَا شَافِعٌ يَمْلِكُ تَخْفِيفَ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، وَإِمَّا عَلَى لَزِمِهِمَا فِي الْكَسْبِ؛ كَالْهَدِيَّةِ وَالْإِقْطَاعِ⁽³⁾، وَهِيَ مَعَانٍ يَحْتَمِلُهَا سِيَاقُ الْآيَةِ، وَتَتَّفِقُ فِي الْمَقْصُودِ بِنَفْيِ كُلِّ وَهْمٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُنْقِذَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَهَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

حُضُّ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ
مِنْ أَهَمِّ عُنَاوَرِ
الْقُوَّةِ فِي الْأُمَّةِ

وَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ هُنَا هِيَ الَّتِي لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَهِيَ الَّتِي لَا يَأْذَنُ بِهَا، أَمَّا شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِهَا وَقَبِلَهَا مِنْهُ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ بَلَّغَتْ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ فِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَتَكُونُ لَهُ شَفَاعَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْ أَقْوَامٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَخْفِيفِهِ عَنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(1) ابن فارس: اللقائيس: (شفع).

(2) الراغب، للفردات: (شفع).

(3) رضا، تفسير النار: 3/14-15.

والكافرون هم الظالمون المتجاوزون حدود الله، واختلف المفسرون في معنى الكُفْر، فمنهم من قال بأنه الاعتقادي، الذين ثبت فيه الظلم التام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، ومنهم من قال بأنه العملي، والمراد التاركون للزكاة⁽¹⁾، ويصدق اللفظ على المعنيتين، تشبيهاً وتحذيراً، ويؤيده السياق.

فالآية الكريمة تحض المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه من أهم عناصر القوة في الأمة، وأفضل وسيلة لإقامة المجتمع الصالح المتكافل، وفيها حثٌ آخر على التعجيل بالإنفاق؛ لأنه تذكير للناس بهذا الوقت الذي تنتهي فيه الأعمال، ولا يمكن فيه استدراك ما فاتهم، ولا تعويض ما فقدوه من طاعات⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة النداء في مطلع الآية:

التنبيه على
أهمية الأمر
المتحدث عنه،
وأن ما يعقبه
أمر خطير يعنى
بشأنه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا﴾ خطاب للمؤمنين بأسلوب نداء البعيد؛ للتنبيه على أهمية الأمر المتحدث عنه، و"أن" ما يعقبه أمر خطير يعنى بشأنه⁽³⁾، ولذلك حفزهم بما في حيز الصلة وهو وصف الإيمان، فمقتضاه الاستجابة للأمر بالإنفاق، "وفي الآية التفات شديد إلى أول السورة، حيث وصف المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم، والإيقان بالآخرة"⁽⁴⁾، وهو ربطٌ بديع يؤكد اتصال المعاني ووثاقتهما.

دلائل تعلّق الكلام بعبئه ببعض:

تنوع التعلّق به
بدل على سعة
الدلالة في بيان
القيم التربوية
والبيانية

قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ إمّا أن يتعلّق بمفعول ﴿أنفقوا﴾ المحذوف؛ أي: أنفقوا شيئاً مما رزقناكم، و"المراد بالإنفاق هنا ما هو أعم من الإنفاق في سبيل الله، ولذلك حذف المفعول"⁽⁵⁾، وفائدة

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/299، والبياضي، أنوار التنزيل: 1/153، ورضا، تفسير المنار: 3/17، وابن

عاشور، التحرير والتنوير: 3/16.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 1/581.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/58.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 4/24.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

حَذَفِهِ التَّرْغِيبُ فِي الْإِنْفَاقِ بِالْمُتَيْسِّرِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، تَرْبِيَةً ارْتِقَائِيَّةً فِي دَرَجَاتِ الْمُنْفِقِينَ. قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَقَوْلُهُ: ﴿مِمَّا رَزَقْنَكُمْ﴾ حَتْ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَاسْتِحْقَاقِهِ فِيهِ"⁽¹⁾. وَفِي التَّعْبِيرِ بِالْإِنْفَاقِ إِرْشَادُ تَرْبِيٍّ، فَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ نَفَقَتِ الدَّابَّةِ إِذَا مَاتَتْ⁽²⁾، وَإِنْفَاقُ الْمَالِ طَرِيقٌ إِلَى مَوْتِ حُبِّهِ فِي النُّفُوسِ؛ لِإِحْيَاءِ الْإِيمَانِ، فَالْمُفْرَدَةُ لَفَتَتْ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِنْفَاقِ لِنَقْوِيَةِ الْإِيْقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأَمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا رَزَقْنَكُمْ﴾ بِالْفِعْلِ نَفْسِهِ⁽³⁾، وَعَلَى الْإِحْتِمَالَيْنِ فَإِنَّ الْأَمْرَ مُتَّجِهٌ إِلَى إِنْفَاقِ بَعْضِ مَا رُزِقَهُ الْمُخَاطَبُونَ.

فائدة نون العظمة وكاف الخطاب:

وَجَاءَ الْفِعْلُ ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾ بِصِيغَةِ التَّكْلُمِ وَبَنُونَ الْعِظَمَةِ تَفْخِيمًا لِلأَمْرِ، وَأَفَادَتْ كَافُ الْخِطَابِ الْإِمْتِنَانَ، تَحْفِيزًا لِلْهَمَمِ، وَتَذْكِيرًا بِالنَّعْمِ، فَالْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ هُوَ الرَّزَاقُ.

علة تعلق الجار الثاني بالأمر:

جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلِ الْأَمْرِ ﴿أَنْفِقُوا﴾ مُضْمَّنًا مَعْنَى التَّحْذِيرِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْإِنْفَاقِ قَبْلَ وُقُوعِ الْوَاقِعَةِ، مَعَ الْجَهْلِ بِوَقْتِ وُقُوعِهَا، ذَالٌ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ التَّرَاحِي وَالْتَّسْوِيفِ، فَالتَّحْذِيرُ دَعْوَةٌ إِلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْإِنْفَاقِ قَبْلَ وُقُوعِ الْمَحْذُورِ⁽⁴⁾.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ حَتْ آخِرُ بَعْدِ قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا رَزَقْنَكُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ تَذْكِيرٌ بِأَنْ هُنَاكَ وَقْتًا تَنْتَهِي الْأَعْمَالُ إِلَيْهِ، وَبِتَعَذُّرِ الْإِسْتِدْرَاكِ فِيهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ⁽⁵⁾.

أَفَادَتْ نُونُ
الْعِظَمَةِ تَفْخِيمَ
الْأَمْرِ، وَأَفَادَتْ
كَافُ الْخِطَابِ
الْإِمْتِنَانَ

فائدة التعلق
تضمين معنى
التحذير

وفي الجملة حَتْ
إضافي؛ بالتذكير
بيوم القيامة
حيث لا عمل
يزاد، أو يستدرك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

(2) الخليل، العين: (نقق).

(3) السمين، الدر للصون: 2/538.

(4) الفاسمي، محاسن التأويل: 2/189.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

دِقَّةُ النَّظْمِ فِي تَعْلُقِ حَرْفَيْنِ بِفِعْلٍ وَاحِدٍ:

يَتَوَخَّى النَّظْمُ الْكَرِيمُ دِقَّةً عَجِيبَةً فِي بَيَانِ الْمَعَانِي، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَعْلَقَ بِالْفِعْلِ «أَنْفَقُوا» حَرْفَانِ؛ أَحَدُهُمَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالثَّانِي لِلإِبْتِدَاءِ، وَلِاخْتِلَافِ الْحَرْفَيْنِ مَعْنَى جَارِ التَّعْلُقِ⁽¹⁾، وَنُكَّتَتْهُ تَوَجُّيهُ الْمُخَاطَبِ إِلَى مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، الْأَوَّلُ: الْإِنْفَاقُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، وَالثَّانِي: الْحَذَرُ مِنْ فُجَاءَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لَيْسَتَيْنِ الْمُخَاطَبُ بِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، وَهَذَا مِنْ بِلَاغَةِ أَسْلُوبِ الْإِقْنَاعِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

قَصْدِيَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْإِثْبَانِ دُونَ الْمَجِيءِ:

فَرَّقَ الرَّاعِبُ بَيْنَ الْإِثْبَانِ وَالْمَجِيءِ، بِأَنَّ الْإِثْبَانَ هُوَ مَجِيءٌ بِسُهُولَةٍ⁽²⁾، وَيَتَسَبَّقُ هَذَا الْمَعْنَى مَعَ تَحْذِيرِ الْآيَةِ مِنْ مُبَاغَتَةِ إِثْبَانِ الْقِيَامَةِ «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ»، وَسُهُولَةُ الْإِثْبَانِ يَفْتَضِي سُرْعَتَهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ سُرْعَةَ الْإِثْبَانِ وَسُهُولَتَهُ، أَوْقَعُ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِينَ، وَالتَّعْبِيرُ بِفِعْلِ «يَأْتِي» أَشَدُّ تَلَاوُماً فِي الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ فِي نَظْمِ الْآيَةِ.

دَلَالَةُ تَنْكِيرِ «يَوْمٌ»:

تَنْكِيرُ «يَوْمٌ» أَفَادَ التَّعْظِيمَ، وَلَوْ كَانَ النَّظْمُ: (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) لَمَا أَفَادَ هَذَا الْبَيَانَ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ «لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفْعَةً» أَعْطَاهُ مَعْنَى التَّهْوِيلِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مَعْنَيَانِ وَرَثَا التَّرْهِيْبِ مِنْ اقْتِرَابِ وَقُوعِهِ؛ لِتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ عَلَى مَهَابَتِهِ، وَحُسْنِ الْإِسْتِجَابَةِ لِمَا يَقْبِهِمْ مِنْ شَرِّهِ.

فَائِدَةُ الْمُخْصُوصِ بِالذِّكْرِ:

حَصَّتِ الْآيَةُ بِالذِّكْرِ الْبَيْعِ وَالْخُلَّةِ وَالشَّفَاعَةِ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ أَنَّهَا أَتَتْ عَلَى جَمِيعِ مَا يَتَعْلَقُ بِهِ الْإِنْسَانُ لِإِنْقَادِ نَفْسِهِ، فَتَفَتَّه لِيُبْطِلَ كُلَّ وَهْمٍ فِي النَّجَاةِ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَعْنَى التَّحْذِيرِ فِي السِّيَاقِ، فَوُصِفَ الْيَوْمُ

(1) السمين، الدر المنون: 2/538.

(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (ج.ع).

مِنْ بَدِيعِ
أَسْلُوبِ الْإِقْنَاعِ
فِي الْقُرْآنِ؛
تَوَجُّيهُ الْمُخَاطَبِ
إِلَى مَعْنَيَيْنِ
دَفْعَةً وَاحِدَةً؛
لَيْسَتَيْنِ بِهِمَا
عَلَى الْقَصْدِ

دَلَالَةُ الْإِثْبَانِ عَلَى
سُهُولَةِ الْمَجِيءِ،
أَوْقَعُ فِي نَفْسِ
الْمُخَاطَبِينَ،
وَأَشَدُّ تَلَاوُماً فِي
الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ

أَفَادَ التَّنْكِيرُ
التَّعْظِيمَ،
وَالْوُصْفَ
التَّهْوِيلَ

أَفَادَ الْمُخْصُوصُ
بِالذِّكْرِ نَفْيَ
الْعُمُومِ لِيُبْطِلَ
كُلَّ وَهْمٍ يَظُنُّهُ
الْإِنْسَانُ مُنْجِيًا

بِهَذِهِ الْمَخْصُوصَاتِ بِالذِّكْرِ نَشَأَ عَنْهُ مَا يُعْرِفُ بِنَفْيِ الْعُمُومِ، وَالْعُمُومُ وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ بِالْأَفْظِلِ فَإِنَّهُ ذُكِرَ بِمَعْنَاهُ، وَهَذَا مِنْ بِلَاغَةِ الْمَخْصُوصِ بِالذِّكْرِ، أَنْ يُفِيدَ نَفْيَ الْعُمُومِ، وَسِرُّ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْمَخْصُوصَاتِ أَنَّ الْبَيْعَ يَشْمَلُ الْجَانِبَ الْمَادِّيَّ، وَالْخُلَّةَ تَشْمَلُ الْجَانِبَ الْمَعْنَوِيَّ، وَالشَّفَاعَةَ تَشْمَلُ الْجَانِبَيْنِ مَعًا.

بلغة الكناية في انتفاء البيع والخلة والشفاعة:

قال ابن عاشور: "وانتفاء البيع والخلة والشفاعة كناية عن تعذر التدارك للفاثت؛ لأن المرء يحصل ما يعوزُه بطريق هي المعاوضة المعبر عنها بالبيع، والارتفاق من الغير وذلك بسبب الخلة، أو بسبب توسط الواسطة إلى من ليس بخليل"⁽¹⁾.

بيان الكناية
تعذر التدارك
للفاثة

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْخُلَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَافِ:

لِلتَّعْبِيرِ بِالْخُلَّةِ سِرٌّ لَغَوِيٌّ لَطِيفٌ، فَالْخُلَّةُ الصَّدَاقَةُ، وَالْخُلَّةُ الْحَاجَةُ⁽²⁾، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْخَلِيلَ "الَّذِي لَيْسَ فِي مَحَبَّتِهِ نَقْصٌ وَلَا خَلَلٌ"⁽³⁾، يُلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْخُلَّةِ، وَسُمِّيَتْ الصَّدَاقَةُ بِالْخُلَّةِ لِأَنَّهَا تَخْلُلُ الْأَعْضَاءَ، أَي: تَدْخُلُ خِلَالَهَا.

الخليل ما ليس
في محبته نقص
ولا خلل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْخُلَّةِ وَالصَّدَاقَةِ أَنَّ الْخُلَّةَ تُطْلَقُ عَلَى الْخَلِيلِ، وَعَلَى الْمَصْدَرِ⁽⁴⁾:

نفى الخلة في
الآية ترتب عليه
نفى الأدنى وهو
الصديق

أَلَا أَبْلَغَا خُلَّتِي جَابِرًا *** بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يَقْتُلْ⁽⁵⁾

بِخِلَافِ الصَّدَاقَةِ فَلَا تُطْلَقُ عَلَى الصَّدِيقِ، وَنَفْيُ الْخُلَّةِ فِي الْآيَةِ تَرْتَبُ عَلَيْهِ نَفْيُ الْأَدْنَى وَهُوَ الصَّدِيقُ، وَالْخُلَّةُ إِذَا قُصِدَ بِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

(2) أبو عبيد، غريب الحديث: 4/63.

(3) الأنباري، الزاهر: 1/493.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 2/598.

(5) ابن السكيت، الألفاظ، ص: 339، والبيت لأوفى بن مطر المازني: (شاعر جاهلي)، لسان العرب، والجمهرة: (خلل).

الْخَلِيلُ فَهُوَ "مَنْ إِطْلَاقَ الْمَصْدَرِ عَلَى الْعَيْنِ مُبَالَغَةً"⁽¹⁾، "وَلَيْسَتْ وَفِيهِ الْوَاحِدُ وَغَيْرُهُ، وَالْمَذَكَّرُ وَغَيْرُهُ"⁽²⁾، وَإِذَا قُصِدَ الصَّدَاقَةُ فَمَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ فِي النَّفْسِ، أَيْ: إِذَا كَانَتِ الصَّدَاقَةُ مُنْتَفِيَةً فَكَيْفَ الصَّدِيقُ؟! فَهِيَ مِنْ بَابِ بَيَانِ انْقِطَاعِ الْعَلَاثِقِ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: وَلَا خَلِيلٌ.

بلادة الاكتفاء في حذف الجار والمجرور:

حُذِفَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ إِذِ "التَّقْدِيرُ: وَلَا حُلَّةٌ فِيهِ، وَلَا شَفَاعَةٌ فِيهِ، فَحُذِفَ خَبَرُ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ؛ لِدَلَالَةِ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِمَا"⁽³⁾، وَالْإِكْتِفَاءُ⁽⁴⁾ لَوْنٌ مِنَ الْوَانِ الْإِيجَازِ الْبَدِيعِ، وَنُكَّتَتْهُ: الدَّلَالَةُ بِالْأَوَّلَى، زِيَادَةٌ فِي الْإِيَّاسِ، فَلَمَّا نَفَى الْبَيْعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - وَهُوَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ -، كَانَ مَا هُوَ مِنْ حَاجِيَّاتِهَا وَمُحَسِّنَاتِهَا - وَهُوَ الْحُلَّةُ وَالشَّفَاعَةُ - أَوَّلَى بِالنَّفْسِ؛ لِيَتَجَاوَبَ الْمُخَاطَبُ مَعَ إِشَارَاتِ النَّصِّ.

علة تأخير الجار والمجرور عن اسم ﴿لَا﴾:

تَقْدِيمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَتَأْخِيرُهُ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى، وَقَدْ تَأَخَّرَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾؛ لِأَنَّهُ تَمَحَّضَ إِلَى نَفْيِ الْبَيْعِ فِي الْآخِرَةِ، دُونَ التَّعْرِضِ بِبُيُوعِ الدُّنْيَا، بِخِلَافِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا عَوَلَ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصَّافَّاتِ: 47]، فَإِنَّهَا تَعْرِضُ بِخَمَرِ الدُّنْيَا الَّتِي تَغْتَالُ الْعُقُولُ⁽⁵⁾.

توجيه قراءتي الرفع والنصب:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِالرَّفْعِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَيْعِ وَالْحُلَّةِ وَالشَّفَاعَةِ أَسْمَاءُ

حَذَفَ الْجَارَ
وَالْمَجْرُورَ؛
لِلِاسْتِغْنَاءِ
بِالْمَذْكُورِ عَنْهُمَا؛
لِدَلَالَةِ الْأَوَّلَى
عَلَيْهِمَا، زِيَادَةً
فِي الْإِيَّاسِ

وَجْهَ التَّأْخِيرِ
هَذَا؛ الْقَضْدُ
إِلَى نَفْيِ الْبَيْعِ
فِي الْآخِرَةِ، دُونَ
التَّعْرِضِ بِبُيُوعِ
الدُّنْيَا

(1) السمين، الدر المصون: 2/539.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14، ويُنظر: ابن دريد، جمهرة اللغة: (خلل).

(3) ابن الشجري، الأمالي: 2/66، ويُنظر: أبو حيان، البحر المحیط: 2/606.

(4) الإكْتِفَاءُ: "نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَذْفِ، وَهُوَ أَنْ يَفْتَضِيَ الْقَامُ ذِكْرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تِلَازُمٌ وَازْتِبَاطٌ، فَيُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ لِنُكْتَةٍ".

التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: 1/249.

(5) الزمخشري، الكشاف: 1/34.

وجه التَّكَامُلِ
الدَّلَالِيّ نَفِيّ
الْعُموم،
والوحدة

أَجْناسٍ لَا نَكَرَاتٍ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بِالْفَتْحِ (1) لِنَفْيِ
الْجِنْسِ نَصًّا (2)، ووجه القراءة بالرفع - على أن (لا) عاملة عمل ليس
- نفْيٍ لجنس البيع، والخَلَّة، والشفاعة، ونفي الواحدة منها وليست
نَصًّا في أحدهما، بل يحتمل الاثنين. أمَّا وجهُ النَّصْبِ - على أنها لا
نافية للجنس - فنَفْيُ مستغْرِقٍ لجنس المذكورات شاملٌ جميعها دون
نفي الواحدة منها، والجمع بينهما يُبَيِّرُ تَكَامُلَهُمَا الدَّلَالِيّ؛ بتأكيد
قراءة النَّصْبِ - بما أفادته من عموم النفي، واستغراق جنس
الموجودات - دَفَعَ احتمال نفي الجنس منها دون الواحدة أو نفي
الواحدة دون نفي الجنس التي أدّى معناها وجه الرفع.

بَلَاغَةُ الإِخْتِيَاكِ:

جُمْلَةٌ «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» الإِسْتِنَافِيَّةُ النَّاشِئَةُ عَنِ النَّفْيِ
تَرْشِدُ إِلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ: فَالَّذِينَ آمَنُوا يَفْعَلُونَ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ
الْمُحَقُّونَ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِأَنَّهُمُ الظَّالِمُونَ، أَيُّ: الْكَامِلُونَ
فِي الظُّلْمِ لَا غَيْرُهُمْ (3)، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِي الْآيَةِ اخْتِيَاكُ،
تَقْدِيرُهُ: فَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْمُحَقُّونَ فِي إِنْفَاقِهِمْ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
فِي امْتِنَاعِهِمْ، وَفَائِدَةُ الإِخْتِيَاكِ مَدْحُ الْمُؤْمِنِينَ إِشَارَةً، وَذَمُّ الْكَافِرِينَ
نَصًّا، وَهَذَا مِنْ لُطْفِ الْخِطَابِ وَعَدَالَتِهِ.

الْقَصْرُ بِتَعْرِيفِ الْجُزْأَيْنِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قَصْرٌ بِتَعْرِيفِ الْجُزْأَيْنِ،
وَفَائِدَتُهُ التَّشْنِيعُ عَلَى الْكَافِرِينَ، "كَأَنَّ كُلَّ ظَلَمٍ غَيْرَ ظُلْمِهِمْ ضَعِيفٌ
لَا يُعْتَدُّ بِهِ" (4)، فَالْقَصْرُ حَقِيقِيٌّ ادِّعَائِيٌّ بِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ (5)، وَهَذَا مِنْ

نُكْتَةُ الإِخْتِيَاكِ
كَامِنَةٌ فِي مَدْحِ
الْمُؤْمِنِينَ إِشَارَةً،
وَذَمِّ الْكَافِرِينَ
نَصًّا

فَائِدَةُ الْقَصْرِ
التَّشْنِيعُ عَلَى
الْكَافِرِينَ، بِجَعْلِ
كُلِّ ظُلْمٍ غَيْرِ
ظُلْمِهِمْ ضَعِيفًا
لَا يُعْتَدُّ بِهِ

(1) ابن الجزي، النشر: 2/211.

(2) الزركشي، البرهان: 4/352، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 2/25.

(4) رضا، تفسير النار: 3/17.

(5) التفتازاني، اللطول، ص: 378.

وجه التجريد
في هذا القصر
المبالغة في
نزع الظلم
من مُتصفيه،
وقضيه على
الكافرين

الإتيان بضمير
الفصل لتأكيد
وصف الكافرين
بكمال ظلمهم

بيان بشاعة
الكفر، وشناعة
الكفران،
وهذا في غاية
الفصاحة المؤثرة
في النفوس

أَبْلَغَ مَا يَكُونُ فِي تَقْبِيحِ اتِّصَافِهِمْ بِالظُّلْمِ؛ "لِأَنَّ ظُلْمَهُمْ لَمَّا كَانَ أَشَدَّ الظُّلْمِ جُعِلُوا كَمَنْ أَنْحَصَرَ الظُّلْمُ فِيهِمْ" (1).

وَالْقَصْرُ الْحَقِيقِيُّ الْإِدْعَائِيُّ يُقَارِبُ مَفْهُومَ التَّجْرِيدِ (2) فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ، وَمَعْنَاهُ هُنَا تَجْرِيدُ الظُّلْمِ مِنْ جَمِيعِ مُتَصِفِيهِ، وَجَعَلَهُ مُقْتَصِرًا عَلَى الْكَافِرِينَ، وَالتَّجْرِيدُ ادِّعَاءٌ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ (3)، فَكَأَنَّهُ لَا ظَالِمَ سِوَاهُمْ.

فائدة ضمير الفصل:

وَضَمِيرُ الْفَصْلِ ﴿هُم﴾: لِلتَّكْثِيرِ، وَفَائِدَتُهُ وَصْفُ الْكَافِرِينَ "بأنهم" الْكَامِلُونَ فِي الظُّلْمِ الْبَالِغُونَ فِيهِ الْمُبْلَغُ الْعَظِيمُ" (4).

فَصَاحَةُ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ:

اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى الْكُفْرِ فِي هَذَا السِّيَاقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ الْكُفْرُ الْإِعْتِقَادِيُّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِأَنَّهُمُ التَّارِكُونَ الزَّكَاةَ (5)، وَالصَّحِيحُ أَنَّ وَصْفَ الْكُفْرِ يَصْدُقُ عَلَى الْكَافِرِينَ تَصْرِيحًا، وَعَلَى الْجَاحِدِينَ النِّعَمَ تَلْمِيحًا، تَعْرِيضًا وَتَهْدِيدًا وَتَغْلِيظًا بِهِمْ، اسْتِعْمَالًا لِلْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ، وَهُوَ اسْتِعْمَالُ بَدِيعٍ، فَمِنْ حَيْثُ أَفَادَ فِي بَيَانِ بَشَاعَةِ الْكُفْرِ، أَجَادَ فِي بَيَانِ شَنَاعَةِ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ جُمْلَةً، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْفَصَاحَةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي النُّفُوسِ؛ فَإِنَّ عِلْمَ الْمُخَاطَبِ أَنَّهُ مَرْجُوعٌ بِهِ فِي أَصْفَادِ الْكُفْرَةِ، فَمَهِيْعُ الْخَلَاصِ مَبْسُوطٌ لِأَدْنَى دَرَجَاتِ إِيمَانِهِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/16.

(2) التَّجْرِيدُ: "أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرِ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا، مُبَالَغَةٌ لِكَمَالِهَا فِيهِ". السبكي، عروس الأفراح: 2/256.

(3) القزويني، الإيضاح، ص: 340.

(4) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/25.

(5) الزمخشري، الكشاف: 1/299، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 1/153، ورضا، تفسير المنار: 3/17، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/16.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 4، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-55-2

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 4: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-55-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»